الفصل الثاني

من تدمر الى دير الزور بطريق الشولة الشامية

٤ الى ١١ نيسان ١٩١٤

صيد الطيور في ارك والخلاف على اجرة الارض — تحصيل ثمن
القصيل عنوة · التعدي علينا من رجال قبيلة مكسورة
مقابلة الامير سلطان — حضور موقعة بين قبيلتين كبيرتين
الخوف من قافلة كبيرة — مقابلة متصرف دير
الزور — الاستعداد لعبور الجزيرة — التعرف
على محمد شيوخ ومساعدته لنا

٤ نيسان

تركنا تدمر عند الساعة الثامنة صباحاً وكنا في « ارك » حوالي الساعة الاولى بعد منتصف النهار وارك هذه قرية صغيرة قليلة الخضرة والكلاء وفيها ينبوع ماء بارد لذيذ تحوم حوله طيور متنوعة بديعة المناظر والاشكال وقد تسنى لنا ان نصطاد منها قسما فوجدنا لحمها طيباً شهياً . وكان الطقس يومئذ جميلا فبتنا ليلتنا هناك لا يزعجنا مزعج ولا يكدرنا مكدر

٥ نيسان

نهضنا باكراً نتأهب للسفر . واننا لكذلك اذ اقبل علينا رجل دلت ملابسه على انه

احد فلاحي تلك القرية . دنا منا وحيانا فرددنا عليه التحية ثم افتتح كلامه قائلا :

« انطونا » اي (اعطونا) اجرة الارض وثمن الكلا الذي اكلته دوابكم اجبته قائلا :

ان بيدنا اوامر حكومية تجيز لنا نصب خيامنا في اي موضع شئنا بدون ما يدل على الاطلاق . وليس ما يمنعنا من تأدية ثمن الكلاء قل لنا كم يبلغ . قال :

اريد اجرة الارض قبل ثمن الكلاء فليس للحكومة من شأن في اراضينا لانها تاخذ اعشارها .

قلت لا بأس فكم هو مطلوبك ؟

قال . لو انكم استأذنتموني قبل نصب الفلاح مالك الارض والقصيل في اركك الخيام وتسريح دوابكم في المرعى لتقاضيتكم مبلغاً يسيراً اما الان فاني اطالب بكمية كبيرة وحسبته يريد ان يتقاضانا مالا باهظاً فاذا به بعد الاخذ والرد وطول المجادلة يطلب ربع مجيدي قبضه وانصرف عنا شاكراً داعياً لنا بسفر ميمون

وما كاد ذلك الرجل يتوارى عن ابصارنا حتى جاءنا فارس على جواده الاحمر . وبعد التحية طلب منا بكل قحة ان نعطيه ثمن الطيور التي اصطدناها في تلك البقعة ولكنا ارجعناه على اعقابه خاسراً

سرنا وحملتنا ومن بعثت بهم الحكومة لحراستنا وما مر نصف ساعة على مسيرنا حتى التقينا بخمسة فرسان مدججين باسلحتهم وقد نزلوا عن ظهور جيادهم حين بصروا بالقافلة واخذوا الدابة التي كانت تتقدمنا (الباشنك) فاسرعت اليهم بجوادي وسألتهم ماذا يريدون . فقالوا : نريد ثمن الطيور التي قنصتموها عند النبع . فادركت اذ ذاك ان القوم لصوص نهابون فوجهت انظار الجنود حراسنا الى هذا الامر . وكان اولئك الجنود شجعاناً بواسل فجردوا اللصوص من اسلحتهم وحجزوا على جيادهم واستاقوهم معنا

الاشقياء

فو صلنا السير الى ان انتهينا الى « السخنه » وكان ذلك عند الساعة الرابعة مساء فنصبنا خيامنا في ساحة واقعة عند مدخل تلك القرية حيث الينبوع التي تتدفق منه المياه الساخنة وكان الحر شديداً وقد انضمت اليه جحافل البرغش و لحشرات والهوام فلم نـذق طعم الرقاد في تلك الليلة المشئومة

٦ نيسان

نهضنا كعادتنا واهتممنا بشترى ما يكفينا يومين وليلتين فقد كان لا بد لنا من الاستراحة في محطتين عما بير الجديد و كبا كب وليس هنالك من زاد او من شيء آخر يسد حاجتنا

ثم توكلنا على الله ومشينا وكنا ظاسنا ان لاخطار محدقة بنا في تلك المفاوز لان بعض القبائل كانت آنذاك في غزوة قوية . ولم يكن بوسعنا ان نؤجل سفرنا وكانت نقطتنا في السخنه عاطلة ولم نوفق الى ايجاد نقطة الـسب منها في تلك البقعة

وما انتصف النهار حتى اشتدت وطأة الحر فاثرت على امزجتنا تاثيرا شديداً وكنا سير الهوينا حملنا على ذلك سير الدواب لى جانبنا . فاوعزنا الى رجالنا ان يتقدمونا

قليلاً ليفتشوا لنا عن مكان يأوينا من حرارة الشمس فعثرنا على صخرة كبيرة لجأنا الى ظلها وما هو غير القليل حتى مر بنا فرسان ثلاثة وكانوا من العربان وقد تقلدوا باسلحتهم فدنوا منا والقوا علينا سلامهم فرددنا التحية والسلام ودعوناهم للجلوس . ثم ابتدرنا احدهم وقال :

هل لقيتم في طريقكم اميراً عربياً يحيط به رجاله ؟ قلنا

لم نشاهد احداً منذ خرجنا من السخنة . ومن هو هذا الامير الذي تسألون عنه ؟

قال : هو الامير سلطان قلت .

أأنتم من رجاله ام من خصومه ؟

قال : لا استطيع ان انبئك بشيء من هذا لان قوانين الغزو تحظر علينا هذا الامر

قدمت لهم لفافة تبغ فتناولوها واشعلوها . وسألني احدهم قائلاً اين ذاهبون وما معنى سفركم في هذه المفاوز الخطرة ؟

قلت : لا اظن ان علينا خطراً . فقد سبق لنا ان وجدنا بين جماعة من العرب فأكرم اميرها وفادتنا واحسن ضيافتنا وغمرنا بجميله وكرم اخلاقه . ونحن الان في بلاد عربية ولغتي هي العربية فلست بحاجة الى ترجمان للتفاهم مع العرب . واني اعلم حق العلم ان العربي كريم الاخلاق بفطرته ابي النفس عزيزها ومتى كانت هذه شيمته فلا خوف منه ولا خطر

قال مبتسما : يظهر انك تعيش منذ الكثير بين القبائل لانك تعرف حق المعرفة كيف تسير في البادية وكيف يخاطبون العربان

ثم سألني قائلا : اتحملون فطيما ؟ « ويعنون بالفطيم السكر يطعمونه للاطفال »

قلت : نعم

قال : انطيني « يعني اعطيني »

ومثله قال الثاني فالثالث

فاوعزت الى العشي ان يقدم لهم مطلوبهم من السكر ففعل

ثم سألني احدهم قائلا : وايش تصرفون وبايش تشترون « اشلشم » اكلكم ؟ وهل معكم مجيديات ؟

قلت : معنا اوراق مالية على المصارف نستخدمها في المدن التي نمر بها ونشتري ما

الاشقياء

يلزمنا وننقله معنا ولسنا نحمل مجيديات اذ لا فائدة منها فضلا عن انها ثقيلة الحمل ومزعجة غير اننا لا نخلو احياناً من كمية قليلة منها

قلت هذا وناولت كلا منهم مجيدياً واحداً وقد شعرت انهم كانوا من الانذل ومن ذوي الغايات السافلة

ثم التفت الي احدهم وقال :

هذا لا يكفي، انطينا شتير مجيديات (يعني اعطنا كتير مجيديات)

قلت : لا نحمل غير ما اعطيناكم

قال : هذا الكافر (يعني السائح) معه شتير

قلت : كلامك يا هذا يعني انكم تريدون ان تسلبونا

اجاب : لازم مجيديات انطينا انطينا

وكان هؤلاء الثلاثة جالسين الى جانبنا في ظلال الصخرة وقد وضعوا بنادقهم على الارض فاوعزت الى رجالنا باعتقال الاشقياء

فلم يكن من رئيس المكارين المرافقين لنا واسمه خليل شاوول — الا انه هجم على البنادق واستولى عليها وناولها لرفيقه رشيد غندور ابي عاصي وكان الاثنان من الابطال الشجعان ولا يخشيان مهابة ملاك الموت

ثم التفت خليل شاوول الى اولئك العربان وخاطبهم بلهجة قاسية قائلا : حسبكم غلاظة تحولوا من هنا والا لومكم على انفسكم

وعندها سأل احدهم ما اذا كان عندنا زاد فاوعزت الى احد الخدم ان يعطيهم شيئاً ليأكلوا اعتقاداً انهم يأكلون ثم يعودون من حيث اتوا . على ان احدهم عاد فالح عليّ بطلب المجيديات . فقال له خليل شاوول . اذهب ياهذا وفتش عن مرتزق في مكان ابعد من هنا . فهجم البدوي على خليل شاوول يريد صفعه . ولكن خليلا لم يكن

خيام القبائل في الشولة الشامية

جبانًا فانقض على البدوي وجندله . وقام البدوي يطلب بندقيته فلم يحظ بها وللحال تكاثف رجالنا وقبضوا على اولئك الاسافل واشبعوهم ضربًا ولطمًا ثم جردوهم من كل وسائل الدفاع واستعادوا منهم المجيديات واوثقوهم بالحال

فلما رأى اولئك العربان انهم مغلوبون على امرهم طلبوا منا ان نعفو عنهم وان نطلق سبيلهم مظهرين الندم على ما فعلوا . ولكننا لم نأمن شرهم فلم يسعنا ان نخلي سبيلهم وقد اصطحبناهم معنا في طريقنا

وما اجتزنا بعض المسافة حتى اخذ احدهم يتوسل الي قائلا . بحقك يا اجل ارحمنا واتركنا لاننا سنمر بسلطان ولا شك انه سيقطع رؤوسنا اذا ما وقعت عينه علينا

قلت : يستحيل علينا ان نطلق سراحكم ، وسنسلمكم الى اول امير عربي نلتقي به في مسيرنا

قال : بحق المروءة ارحمونا واتركونا والا فنحن لا محالة هالكون لان سلطان سيقطع رؤوسنا

قلت : ولماذا يقتلكم سلطان ؟

قال : لانه غزا قبيلتنا وكسرها ، وقد فررنا من وجهه

قلت : لومكم على انفسكم ، فاذا التقينا بسلطان في طريقنا سلمناكم اليه والا سلمناكم الى رجال الدرك في بئر الجديد

ولا يسعنا ان نعاملكم معاملة غير هذه لاننا اكرمناكم واطعمناكم فظننتم اننا نخشى بأسكم فرفعتم علينا عقبكم فستنالون جزاءكم

الامير سلطان ورجاله

ومر علَى مسيرنا نحو من ساعتين فانتهينا الى مفازة فسيحة تحيط بها الجبال من جهاتها الاربع نصبت فيها الخيام الكثيرة الاهلة بالقبائل العربية

وما طال بنا الامر حتى كنا امام كوكبة من الفرسان يتقدمهم شاب في مقتبل العمر جميل الطلعة شريف الملامح تدل ملابسه على انه رئيس تلك الكوكبة

فابتدرته بالتحية والسلام ، فرد التحية باشاً ثم قال :

من القوم ؟

قلنا : سياح

قال : الى اين ذاهبون ؟

قلنا : اننا قاصدون الى قبائل العرب للاطلاع على عاداتها ودرس اخلاقها فطالما سمعنا ان العرب مفطورون على الشهامة وعزة النفس وكرم الاخلاق وسائر المحاسن

قال : قابلتم احداً قبل اليوم من امراء العرب ؟

قلنا : لقد كنا في ضيافة امير قبيلة الحسنى الشيخ محمد الملحم وقد غمرنا بجميله واهدى الي هذا الجواد الذي اركبه

قال : وهل قابلتم غيره من العرب ؟

قلنا : اننا التقينا بهؤلاء الثلاثة الذين يسيرون موثقين وراء رجالنا

فلما بصر بهم سألني قائلا :

ما الذي حملكم على معاملتهم هكذا ؟

حول بير الجديد

فاخبرته بكل ما كان من امرهم فدنا منهم وخاطب احدهم قائلا :

انت بطل الرواية يا محمـود يا شلب العرب « يا كلب العرب» لقدفررت من امام وجهي لكي تعيث في الارض فسادا وتقطع الطرق وتسلب المارة وتصم العربي بالعـار والذل والخساسة والله لاذيقنك ورفقاءك الامرين يا مشلبه « يا مكلبه »

قال هذا والتفت الي سائلا :

اتريد ان تسلم هؤلاء الى سلطان بن ربيعة كي يجازيهم على قبيحهم ؟

قلت : افعل بهم ما تشاء بشرط ان تقينا شرهم

قال : لا تخف سلمهم الينا

فاوعزت اذ ذاك الى رجالنا بتسليم اولئك العربان الى ذلك الشاب . ففعلوا وطلب الشاب جيادهم فاستلمهـا ثم طلب اسلحتهم فرجوته ان يبقيها لنا لاننا نحتاج اليها في سفرنا وسألت عن ثمنها لادفعه . فقال (ما يخالف) ابق لك الاسلحـة ولسنا نريد منك ثمنا

فشكرنا لعمله وودعناه فواصلنا السير الى ان انتهينا الى بئر الجديد وكان قد مر على سفرنا ما يناهز عشر ساعات . دخلنا القلعة وهناك نصبنا مرادقنا وخيام رجالنا

— بئر الجديد —

قلعة ونقطة عسكرية لها بئر ماء يقيم فيها جاويش وستة من رجال الدرك . وهي

ذات باب واحد قوي متين يقفلونه ليلاً . وفيها اربعة مدافع صغيرة نقالة يظن ان الدولة العثمانية ابقتها هنالك بعد موقعتها مع العرب

نصبنا الخيام في فناء القلعة وكان الدركيون يجاملوننا ويعاملوننا بالحسنى . ولكن ما اكثر العقارب والحشرات والبعوض في ذلك المكان ولا سيما في ابان ذلك الحر الشديد فلم يغمض لاحدنا جفن ليلتنا كلها

ونحو الساعة الاولى بعد منتصف الليل احسست ان الدركيين كانوا مضطربين قلقي البال وكنت اشاهدهم يطلعون على السطوح ثم ينزلون مكررين عملهم هذا مرتين في الساعة فعند الساعة الثالثة ذهبت الى الجاويش وسألته عن الاسباب التي تدعوهم الى تلك الحركة في ذلك الليل . فاجابني لقد بلغنا ان قبيلتين سوف تلتحمان التحاماً وخيم المغبة على الفريقين فان نيران العداء والبغضاء والضغينة تتأجج في صدور جميعهم منذ عهد طويل ورجال القبيلتين اشداء البأس متصلبون برأيهم لا يحكم بينهم سوى السيف والقوة . وما ازفت الساعة الرابعة صباحاً حتى دوى البارود في تلك النواحي فصعدنا مع الدركيين على السطوح نستطلع الخبر . وما هو غير القليل حتى رأينا على مسافة قريبة عدداً كبيراً من الفرسان وكلهم من جماعة العربان وكانوا ينشدون الاناشيد الحماسية . ثم ما لبثنا ان شاهدنا فرساناً آخرين قادمين من جهة المعاكسة . وحوالي الساعة السادسة تبادل الفريقان اطلاق البنادق ثم توجل جميعهم والتحموا واعملوا بالرقاب سيوفهم ورماحهم وعند الساعة الثامنة صباحاً اوقف القوم عراكهم

الغزو في بير الجديد

البدويات يسألن عن القتلى والجرحى

٧ نيسان

نزلنا عن السطوح واوعزنا الى رجالنا ان يعدوا العدة للرحيل . غير ان رفيقي السائح احب ان يزور ساحة القتال قبل سفرنا فسألت الجاويش ما اذا كان من ضرر من زيارتنا هذه . فاجابني : لا ضرر بكم ولا ويل عليكم من زيارتكم واذا شئتم فاني اصحبكم الى منالك . قال هذا ودعا اربعة من رجاله وسرنا جميعاً الى ساحة القتال وكنا تركنا رجال حملتنا يعدون عدتهم للسفر حالما نعود من زيارتنا

ووقعت اعيننا على كثيرين من القتلى والجرحى . وكان رجال كل قبيلة يجمعون جرحاهم لنقلهم الى مضاربهم وفهمنا حينذاك انهم لا يدفنون الموتى وهي عادة العرب منذ نشأتهم

فسألت احدهم ما اذا كان يوجد هناك زعيم من زعماء تيك القبيلتين المتحاربتين فاجابني قائلاً : ان هنا الامير ربيعة بن حسان وهو لا يدع الساحة قبل ان يجمع الجرحى من قبيلته ويبعث بهم الى مضاربها حيث يضمدون جراحاتهم ويعالجونهم . فقلنا وهل يتسنى لنا ان نقابله ؟ قال . نعم واشار لنا الى محل اقامته فذهبنا اليه فاستقبلنا بكل بشاشة . ولما استقر بنا المقام سألت الامير عن اسباب هذه المعركة

قال : ان اسبابها عديدة واهمها الضغائن الموروثة عن ابائنا واجدادنا وتتجدد هذه الضغائن كلما تقابلنا وتقاتلنا وكثيراً ما نتقابل في هذه البقعة

قلت وما يحملكم على القتال في هذه البقعة ؟

قال : تحوجنا الضرورة الى ذلك اذ اننا في مثل هذه الايام نذهب لارتياد الاراضي

الكثيرة الكلاء فنمر بهذه البقعة . وفي بعض الاعوام يتفق ان تتقدمنا هذه القبيلة او تتأخر عنا فلا نتحارب . على انه اذا اتفق مرورنا في آن واحد حدث الحادث الذي شاهدتم .

قلت : ولماذا لا تغيرون موعد مروركم او تجتازون طريقاً آخر ؟

قال : لا يغير احدنا الطريق او موعد المرور لئلا ينسب اليه الجبن والخوف

قلت : ومن فاز في هذه المعركة ؟

قال : لم يفز احدنا على الاخر فان الامير زيداً بن طحان دخل بين الفريقين واوقف القتال عارضاً علينا المصالحة وبعد يومين نعقد عنده اجتماعاً ربما كان منه مصلحة القبيلتين

قلت : وهل وقفتم على عدد القتلى ؟

قال : كلا لكني لا احسبه يتجاوز المائة من الفريقين

قلت : وهل تجمعون الادوات بعد نهاية المعركة ؟

قال : نجمع منها ما هو ضروري لنا كالاسلحة وخرطوشها فان ذلك عزيز نادر في البادية . اما بقية الادوات كالسروج والملابس فان عائلات القتلى تجمعها وليس من يعارضها في هذا الامر

قلت : واي الفريقين اشد في القتال ؟

قال : لم يبق في هذه الايام من سبيل الى الفروسية والقوة البدنية فالفائز والاقوى والاشد من احسن الرماية فان صعلوك تعود الرماية يقتل بطلا لا يحسن ادارة بندقيته . وكانت السيوف والرماح تميز فيما عبر بين الشجاع والجبان وبين القوي والضعيف . واننا نرى ان قتالنا في هذه الاونة مضر بمصلحة الجميع ولذا نتحاشى كثيراً العراك ولا نخوضه الا مجبرين

وودعنا الامير وعدنا الى القلعة فوجدنا كل شيء معداً للسفر فتوكلنا على الله وقمنا نقطع القيافي والاراضي الجافة اليابسة وكان ذلك عند الساعة العاشرة صباحاً . وما زلنا في مسيرنا الى ان انتهينا الى كباكب وكانت الساعة السادسة مساء فنصبنا الخيام في فناء القلعة .

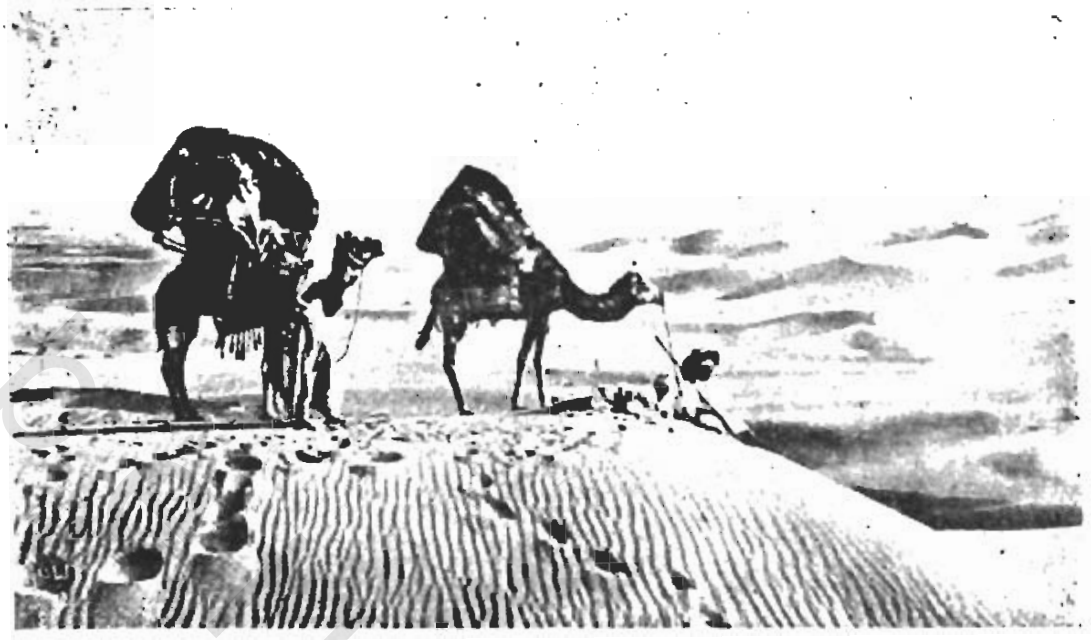

يتقلون الجرحى

— كباكب —

هي قلعة شبيهة ببئر الجديد ونقطة عسكرية يقيم فيها جاويش وثمانية دركيين وفيها بئر ماؤه نتن رائحة لا يصلح للشرب وعلى مسافة قريبة من القلعة ماء عذب يستقي منه الانسان والحيوان . وقد قيل لنا ان هناك ايضاً حفرة صغيرة لجمع زيت الحجري (كاز) فارسلنا من املالنا زجاجة لنجرب ذلك السائل وبالحقيقة كان زيتاً حجرياً لكنه وسخ جداً نصف كميته تقريباً من المواد الغريبة

وبعد ان تعشينا جاءنا الجاويش المكلف بحراسة القلعة ونصحنا بالسفر ليلا لان القبائل العربية الهمجية كانت في تلك الاونة منتشرة في تلك الفيافي بين كباكب ودير الزور وقد افادنا انها من القبائل الرديئة السافلة النهابة ، فسألته :

ما الفرق بين سفرنا ليلا او نهاراً ؟

فاجابني : ان اولئك العربان لا يبتعدون عن مضاربهم في الليالي ، فشكرنا له صنيعه وصممنا على الرحيل بعد انتصاف الليل . ثم رقدنا باكراً كي نصحو باكراً ونكون على اهبة السفر

٨ نيسان

وعند الساعة الاولى بعد منتصف الليل غادرنا كباكب عملا بمشورة الجاويش فتواصفنا الطريق حوالى الساعة السابعة صباحاً ورأينا على مسافة قريبة قافلة حسبناها قادمة الينا فخشينا العاقبة واستعددنا لمجابهة القوم بالشجاعة والبطولة واوعزنا الى رجالنا ان يكونوا متأهبين للقتال اذا دعت الحال الى ذلك

وما زلنا سائرين حتى اشتبكنا باولئك القادمين وكانوا يقودون عدداً عظيما من الجمال ، فلم نر منهم ما يدل على العداء والتعدي ، فسألناهم من هم ؟ فقالوا : تجار سمن من اهالي دير الزور

وكانوا ينقلون السمن الى حلب على ظهور تلك الجمال

قلت : الا تخشون تعديات العربان المقيمين في هذه الاراضي ؟ فقد علمنا انهم ينهبون المارة ويسلبونهم اموالهم واشياءهم . اجابوا : صحيح ما سمعتموه عنهم ولكنهم يعاملون بالحسنى جميع اهالي دير الزور لانهم يبيعون كل غلالهم عندنا ويبتاعون من بلدنا سائر حاجاتهم ونحن وهم على احسن وئام . ومرت تلك القافلة فعدنا نواصل مسيرنا وقد اشتدت وطأة الحر فنهكت قوانا وكنا بحاجة الى الراحة لاننا لم نذق لذة النوم في الليل السابق . غير اننا اجهدنا النفس وتابعنا المسير الى ان انتهينا الى دير الزور وكان ذلك حوالي الساعة الواحدة بعد الظهر . فنصبنا الخيام على ضفة الفرات في ظلال الصفصاف على مقربة من شارع السراي وتناولنا الطعام ثم ارتمينا على اسرتنا وقد اخذ منا التعب والنعاس كل مأخذ

— دير الزور —

كانت دير الزور في تلك الاونة متصرفية مربوطة رأساً بالاستانة فلم تكن تابعة لاحدي الولايات . وكانت محطة للعربان يبيعون صوفهم وسمنهم وغنمهم في اسواقها ويستلفون من تجارها المال على الحاصلات

٩ نيسان

استيقظت ورفيقي السائح حوالي الساعة الثالثة صباحاً فجلسنا بثياب النوم على ضفة

خيمة المطبخ في دير الزور

الفرات تمتع الانظار بمياهه وتناولنا القهوة هنالك وكان الطقس جميلا والهواء منعشاً وكنا نفكر في امر مصيرنا في الجزيرة وكيف اقدامنا السفر اليها فاخذنا نضرب اخماساً باسداس معلقين رجاءنا على الخالق عز وجل

وطلع ذلك النهار فتناولنا طعام الصباح وارتدينا ملابسنا وذهبنا عند الساعة الثامنة الى السراي نريد مقابلة المتصرف وكان شاباً في مقتبل العمر فرحب بنا كثيراً واستقبلنا بكل بشاشة . وعندما اثبتنا له انا نبغي السفر الى الجزيرة ورجونا منه ان يقدم لنا المساعدة اللازمة وكنت اعتقد انا نكتفي بعشرين فارساً مسلحاً فطلبت اليه هذا العدد فابتسم وقال : اذا كنتم تروموت اجتياز الجزيرة فيلزمكم على الاقل خمسمائة فارس باسلحتهم الكاملة ولا سبيل الى امدادكم بهذا العدد . واني انصح لكم بالعدول عن هذه السفرة فانها محفوفة بالاخطار

قلت : سنذهب الى الجزيرة وليس ما يثبط عزيمتنا

قال بعثت الدولة بخسماية فارس يجمعون الاعشار فسطا عليهم العربان وقتلوا منهم وجرحوا ففر البقية ناجين بانفسهم

ووصلوا الينا مذعورين يقصون علينا ما كان من امرهم في تلك الجزيرة فنقلت الخبر الى اولياء الامر في الاستانة . وتجهز الدولة الان حملة قوية لتطويع اولئك القوم ومجازاة الذين ثاروا على الفرسان وفتكوا بهم

قلت : ولكن ذلك لا يمنعنا من القيام برحلتنا

قال : انك لفي خطأ ياصاح وحرام عليك ان تخاطر بحياتك وحياة الذين سيرافقونك على انه اذا كان لا بد من سفركم الى الجزيرة فاني اطلب منكم قبل ذلك ان توقعوا وثيقة ما لها انكم مسافرون على مسؤوليتكم الخاصة

قلت : اكتب ما تشاء فيوقعها رفيقي بخطه

عندها نادى احد كتابه وامره بانشاء الوثيقة فكتبها الكاتب باللغة الافرنسية واخذتها الى رفيقي ليوقعها فوقعها بعد ان دار بيني وبينه جدال طويل بشأن الاخطار المزمعين عليها في تلك الجزيرة وهذه ترجمة تلك الوثيقة :

انا الموقع ادناه باسيليوس كورباه من التابعية الروسية اصرح بانني مسافر الى الجزيرة على عهدتي الخاصة وقد اقدمت على هذا السفر على الرغم من نصائح متصرف دير الزور الذي انبأني بكثرة الاخطار المحدقة بي في تلك الجزيرة واشعاراً بالواقع كتبت بيدي هذه الوثيقة في اليوم التاسع من شهر نيسان من سنة ١٩١٤

الامضاء : باسيليوس كورباه

ثم طلبت من المتصرف ان يتكرم علينا بدركيين يرشداننا الى الطرقات فوعدني انه يسعى لاجابة مطلبي وقال لي ان اعود اليه في صباح اليوم التالي . ودعت المتصرف وعدت الى مركز خيامنا لاشرع باعداد عدتنا للسفر الى الجزيرة فوجدت قومنا نائحين باكين وكانوا قد فهموا اننا مزمعون التوغل في الجزيرة مهما كلفنا الامر فوضعوا نصب اعينهم الموت وحسبوا انهم لا محالة هالكون ، فاخذت اشجعهم واهدىء روعهم بشتى الطرق ، على انني لا انكر اننا كنا انا ورفيقي السائح خائفين خوف رجالنا نظراً لشدة الاخطار والاهوال التي كنا مزمعين ان نتعرض لها

١٠ نيسان

عدت باكراً الى المتصرف لاعرف ما اذا كان اعد لنا الدركيين فقال لي انه لم يتوفق الا الى دركي واحد وكان ذاك الدركي واقفاً على مدخل السراي وناداه المتصرف وكان اسمه احمد الغزاوي . فسألته ما اذا كان يريد الذهاب بمعيتنا فاجاب بالايجاب ثم سألته ما اذا كان يسعه ان يستصحب رفيقاً ثانياً فقال :

ان لي صديقاً عزيزاً ساقنعه بمرافقتي قلت على كل حال نحن ننتظرك في خيامنا هذا المساء

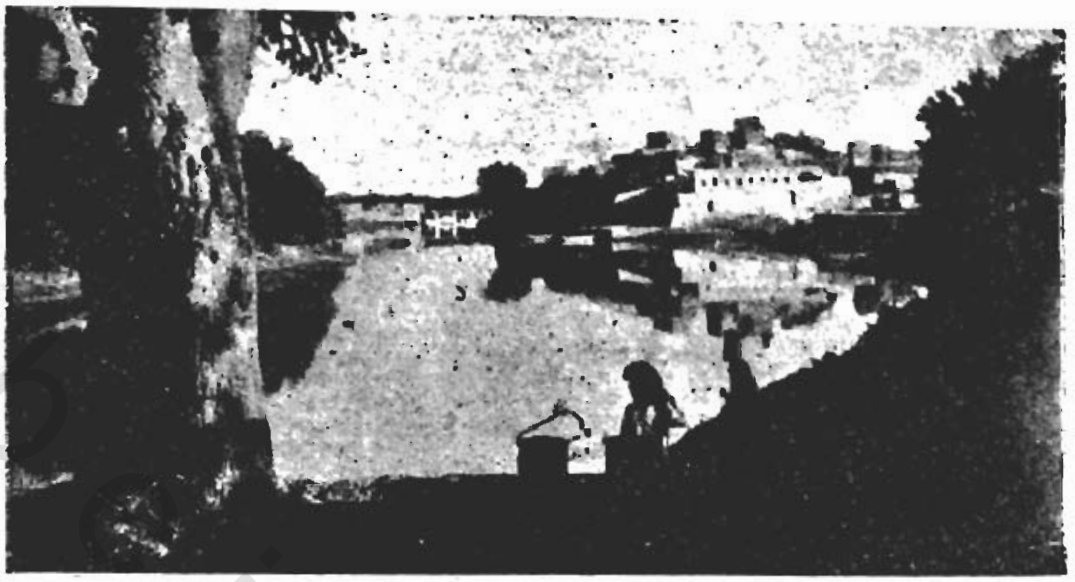

دير الزور

لاننا عزمنا على السفر في صباح الغد . وودعت المتصرف شاكراً بعد ان سلمته الوثيقة وكان لا يزال يلح علي بالعدول عن رحلتنا هذه

عدت الى الخيام وباشرت اعداد العدة للسفر مختزناً بما نحتاج اليه اشد الحاجة تاركا جانباً كل ما كان بوسعنا ان نستغني عنه واضعاً جميع ذلك في صناديق سلمتها الى تاجر من دير الزور وقد طلبت اليه ان يرسلها الى عميله في حلب نستلمها منه بوصولنا اليها . واذ كنت بعد ظهر ذلك اليوم افكر في امر مسيرنا وقد اسودت السماء في وجهي اذا برجل جليل يدخل علي وكانت ملامحه تدل على انه شيخ احدى القبائل العربية فرحبت به ودعوته للجلوس فجلس وقال : يا محمد شيوخ شيخ قبيلة شمر ، وقد بلغني انكم ذاهبون الى الموصل سالكين طريق الجزيرة قلت : نعم ، وكيف عرفت ذلك ؟

قال : خبركم قد شاع في كل المدينة

قلت : وما رأي الشيخ في هذه الرحلة

قال: رأيي ان تعدلوا عنها لان في الجزيرة اهوالا تفوق الوصف وقبائل رديئة للغاية تلحق الاذى باي من وقع بين ايديها

قلت : وهل لكم ان تساعدونا للنجاة من شر تلك القبائل ؟

قال : اذا خلصتكم من ايدي العربان كيف تنجون من ايدي اليزيدية ؟

فان جمال باشا والي الموصل اضطر ان يدفع (الخوة) مالاً وافراً لقاء مروره في ارض اولئك الجماعة وهو ممثل الدولة في تلك البلاد ، وهم خاضعون لسيطرته . وحين اجتياز تلك الاراضي كان يقوم بحراسته مائتا فارس من اشجع الناس وابسلهم واشدهم بأساً . ووادي سنجار وادٍ مخيف يقطنه عبدة الشياطين اليزيدية

قلت : كلما قيل لنا ان سفرنا محفوف بالاخطار تشتد رغبتنا في السفر ولذة اجتياز الجزيرة في اخطارها وغايتنا ان نرى بام العين ما هو جارٍ في تلك البقاع فلقد سمعنا عنها اشياء كثيرة ومتنوعة ولربما لم تكن كلها حقيقية

قال : يظهر لي انك شجاع وانك تحمل الغير على الشجاعة فدعوت هذا السائح الى تفقد الجزيرة مبعداً عن مخيلته كل ما يشتم منه رائحة خوف

قلت : لست باشجع من هذا السائح فهو الذي يتوق الى هذه الرحلة لانه لا يبالي بالموت فهو يعتقد ان المرء مائت عاجلاً او آجلاً

قال : وهل انتم مسافرون غداً ؟

قلت : نعم باذن الله . واراد الشيخ ان يودعنا وينصرف فالححت عليه ليتناول العشاء معنا فقبل دعوتنا وقد استفدنا منه في السهرة اشياء مهمة تتعلق باحوال الجزيرة . وشاء ان يساعدنا فبعث معنا بعلامة الى شيخ قبيلة الجبور وهي القبيلة الكبيرة الاولى التي كنا مزمعين على المرور بها بعد اجتيازنا نهر الخابور (الذي هو فرع من الفرات)

ثم سألته اين هي قبيلتكم ؟

قال : حوالي الموصل في ارض الجزيرة

قلت : وهل نلتقي في الطريق ؟

قال : لا يسعني ان افيدك لان امرنا منوط بالحل والترحال فاذا كانت القبيلة لا تزال هنالك التقينا والا فاجتماعنا في الموصل . اما العلامة التي كانت بمثابة توصية بنا والتي بعث بها الى شيخ قبيلة الجبور فهي مع ملاحظة انه يجب علينا عند وصولنا الى حدود القبيلة ان نتوقف ونرسل فارساً رافعاً علماً ابيض (علامة الصداقة) الى قبيلة الجبور ويقابل الشيخ حمود شيخ القبيلة ويقول له هذه العبارة : ان محمد شيوخ عرب شمر لا يستطيع المرور هناك في اثناء رجوعه لانه مسافر بطريق البديع وابو حامضه وهو يقول ان الاسعار لا توافق الان : انتظروا شهراً آخر . وكان الشيخ حمود قد كلف الشيخ محمد شيوخ

يستفهم له عن اسعار السمن والصوف في اثناء مروره

حوالي الساعة الحادية عشرة مساء طلعنا خارج الخيمة فوجدنا جمع غفير من اهالي دير الزور حول الخيام يتفرسون في الحملة ويتعجبون من رحلتنا في الجزيرة ثم ودعنا الشيخ وانصرف .

لوكندة راس العين الكبرى

لاصحابها خوام اخوان — بعلبك

لوكندة من الدرجة الاولى ، غرف بحمامات و ماء جارية ، — حديقة واسعة نادرة المثال ، تنس ، جمنستيك ، وركستر (موسيقة) تصب فيها مياه الجوج المشهورة النافعة للكبد والمعدة — مجهزة بجميع وسائل الراحة مطبخها متقن وخدمة فيها ممتازة

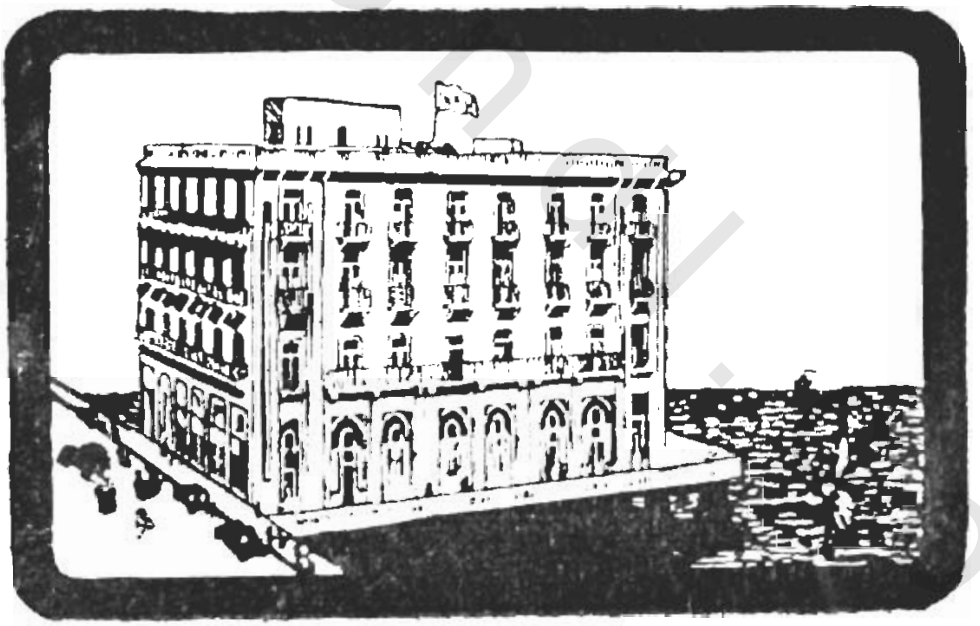

نيو رويال اوتيل بيروت

فندق عصري حديث البناء قائم على شاطىء البحر ماء جارية سخن وبارد حمامات خصوصية مطبخ متقن خدمة نادرة ، ادارة دقيقة